الكَعْكَةُ الذَّكِيَّةُ



مِنْ فَرِيقِ نيويورك تايمز الأَفْضَلُ مَبيعًا

جوري جون و بيت أوسوالد

أشجار
دار أشجار للنشر والتوزيع

مَرْحَبًا، أَنا كَعْكَةٌ.

أَعيشُ في مَخْبَزٍ، يَقَعُ في زاوِيَةِ شارِعٍ
بِالقُرْبِ مِنَ النَّهْرِ.





تَفَضَّلوا!



مَرْحَبًا بِكَ في مُجْتَمَعِنا الصَّغيرِ.
إِنَّهُ مَكانٌ يَمْنَحُكَ الدِّفْءَ والدَّعْمَ عِنْدَما تَقْضي فيهِ بَعْضَ الوَقْتِ.



رائِعٌ جِدًّا، أَلَيْسَ كَذلِكَ؟

الحَياةُ حُلْوَةٌ هذِهِ الأيّامَ. لكِنَّ رِحْلَتي لَمْ تَكُنْ دائمًا نُزْهَةً.
عِنْدَما كُنْتُ أَصْغَرَ سِنًّا، لَمْ أَتَخَيَّلْ أَنَّني أَنْتَمي إلى هذا المَكانِ.





فَلِوَقْتٍ طَويلٍ، لَمْ أَكُنْ أَشْعُرُ بِالرّاحَةِ لِلتَّعْبيرِ
عَنْ نَفْسي، أَوْ مُشارَكَةِ الآخَرينَ أَفْكاري.
لَمْ أَكُنْ أَشْعُرُ بِأَنَّني كَعْكَةٌ ذَكِيَّةٌ.

أَرَدْتُ أَنْ أَكونَ الكَعْكَةَ الَّتي تَـعْرِفُ كُلَّ الإجاباتِ،
الكَعْكَةَ الَّتي تَـشْعُرُ بِالثِّقَةِ حينَ تَـكونُ ضِمْنَ مَجموعَةٍ،
الكَعْكَةَ الَّتي تَـقولُ **"أها!"** حينَ تَـحُلُّ لُغْزًا.

هكَذا:

أهـا!



حينَ أَعودُ بِذاكِرَتي إلى الوَراءِ، أَرى بِأَنّي واجَهْتُ بَعْضَ المُشْكِلاتِ في أَيّامي الأولى. كُنْتُ قَدِ الْتَحَقْتُ بِمَدْرَسَةٍ في بَيْتِ بَسْكوتِ الزَّنْجَبيلِ.



كانَتْ مُعَلِّمَتُنا، الآنِسَةُ بَسْكوتَةُ، طَيِّبَةً وَصَبورَةً.
كانَتْ تُلَوِّحُ لي وَتَبْتَسِمُ عِنْدَما أَصِلُ إلى المَدْرَسَةِ كُلَّ صَباحٍ.



لكِنّي لَمْ أَحْصُلْ
عَلى أَفْضَلِ الدَّرَجاتِ.

وَلَمْ أَكُنْ أَرْفَعُ يَدي؛ لِأَنَّني
لَمْ أَسْتَطِعِ التَّفْكيرَ بِالإجاباتِ
بِسُرْعَةٍ كَبيرَةٍ مِثْلَ الآخَرينَ.





وَفي مُعْظَمِ الأَوْقاتِ كُنْتُ
آخِرَ مَنْ يَنْتَهي مِنْ حَلِّ الاخْتِبارِ.

لَمْ يَحْدُثْ هذا لِأَنَّني كُنْتُ غَيْرَ مُهْتَمَّةٍ، أَوْ لِأَنّي
لَمْ أَبْذُلْ جُهْدًا. بَلْ لِأَنَّ تَرْكيزي كانَ يَتَشَتَّتُ أَحْيانًا
فَأُخْطِئُ، عَلى الرَّغْمِ مِنْ إِلْمامي بِالمادَّةِ.
كانَتْ تِلْكَ هِيَ أَكْثَرُ اللَّحَظاتِ إِحْباطًا.



ذاتَ مَرَّةٍ أَخْطَأْتُ
في تَهْجِئَةِ كَلِمَةِ "عَجينٍ".
كانَ ذلِكَ صَعْبًا!





وفي مَرَّةٍ أُخْرى جَمَعْتُ،
وَكُنْتُ أَقْصِدُ أَنْ *أَطْرَحَ*!

وَعادَةً، لا تَكونُ لَدَيَّ أَدْنى فِكْرَةٍ عَمّا يَحْدُثُ داخِلَ الدَّرْسِ.
أَنا فَقَطْ لا أَكونُ قادِرَةً عَلى المُتابَعَةِ.



تَخَيَّلْتُ حينَها أَنَّ دُرْجي كانَ خَشَبَةً طافِيَةً، وَأَنَّني تائِهَةٌ
تَمامًا في البَحْرِ؛ لِأَنَّ هذا ما كُنْتُ أَشْعُرُ بِهِ حَقًّا.

في اللّيْلِ كُنْتُ أَنامُ في بَرْطَمانِ الكَعْكِ.
كانَ لَدَيَّ سِتُّ دَزّيناتٍ مِنْ زُمَلائي في السَّكَنِ.





كُنْتُ أَبْقى مُسْتَيْقِظَةً،
وَأُحَدِّقُ في الخارِجِ، وَأَقْلَقُ.



وَاسْتَمَرَّ الوَضْعُ عَلى هذا النَّحْوِ
يَوْمًا بَعْدَ *يَوْمٍ* بَعْدَ ***يَوْمٍ***.

لكِنْ، بَعْدَ *ذلِكَ*، حَدَثَ الشَّيْءُ الَّذي غَيَّرَ كُلَّ *شَيْءٍ*.

بَدَأَ هذا مَعَ أَحَدِ الواجِباتِ المَنْزِلِيَّةِ.

ذاتَ يَوْمٍ طَلَبَتْ مِنّا الآنِسَةُ بَسْكوتَةُ أَنْ نَنْتَبِهَ لَها،

وَقالَتْ مُعْلِنَةً: "اللَّيْلَةَ أُريدُكُمْ أَنْ تَبْتَكِروا شَيْئًا أَصيلًا تَمامًا.

يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ أَيَّ شَيْءٍ تُريدونَهُ. أَرْجو أَنْ تُحْضِروهُ إِلى الفَصْلِ غَدًا."



وَهذا كانَ كُلَّ شَيءٍ.

لَمْ تَكُنْ هُناكَ أَيُّ تَعْليماتٍ أُخْرى.

غَمَزَتْ لي الآنِسَةُ بَسْكوتَةُ وَأَنا أَجْمَعُ أَغْراضي.

شَعَرْتُ بِأَنَّ في مَعِدَتي مِلْيونَ فَراشَةٍ.



أبْتَكِرُ أيَّ شَيْءٍ؟



شَيْءٍ أَصيلٍ؟ المَوْعِدُ غَدًا؟!



إِبْتَعَلْتُ ريقي!



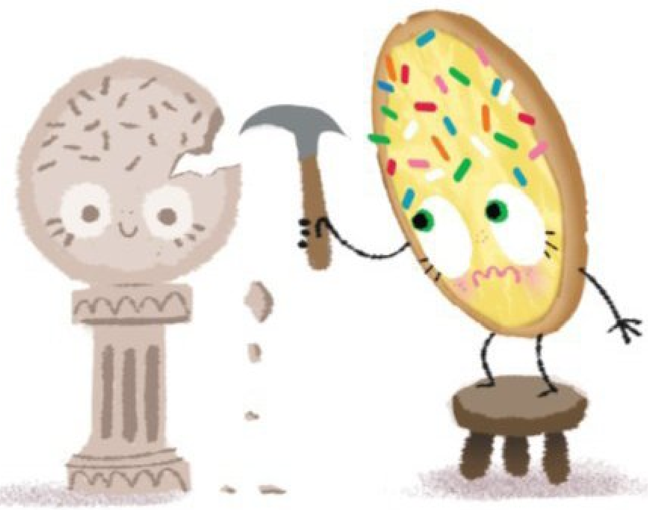
عِنْدَما وَصَلْتُ إلى البَيْتِ، باشَرْتُ العَمَلَ فَوْرًا.

في البِدايَةِ، جَرَّبْتُ الطَّبْخَ.
لكِنَّ الطَّبْخَةَ كانَتْ . . .
نِصْفَ مُسْتَوِيَةٍ.

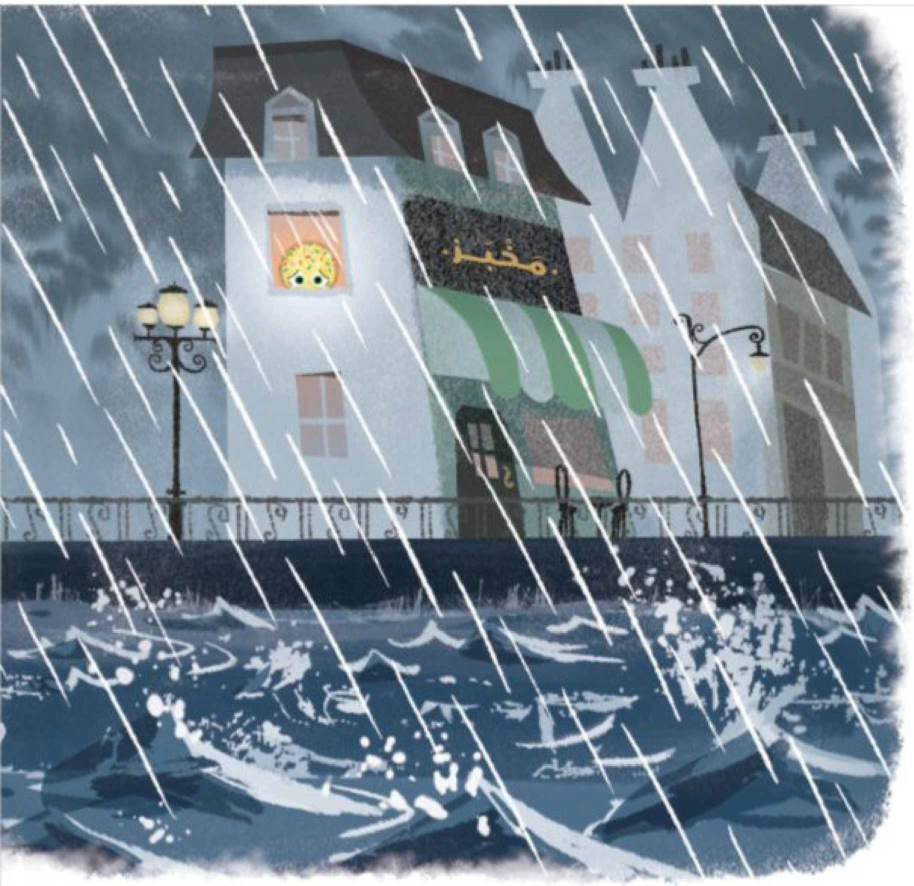




بَعْدَ ذلِكَ حاوَلْتُ طَرْقَ
مِسْمارٍ في بَيْتٍ خَشَبِيٍّ.
لكِنَّهُ تَفَكَّكَ عَلى الفَوْرِ.



ثُمَّ حاوَلْتُ أَنْ أَصْنَعَ تِمْثالًا،
فَكانَ *مُخَيِّبًا للآمالِ!*
تَساءَلْتُ حينَها إذا كُنْتُ عَلى
وَشَكِ الفَشَلِ في مَهَمَّةٍ أُخْرى.
كُنْتُ عالِقَةً.



حَدّقْتُ مِنَ النّافِذَةِ، وَراقَبْتُ المَطَرَ المُنْسَكِبَ عَلى النَّهْرِ. كانَ هُناكَ شَيْءٌ ساحِرٌ حِيالَ المِياهِ. كَيْفَ كانَتْ تَتَحَرَّكُ بِطَريقَةٍ فَوْضَوِيَّةٍ، وَتَدورُ في دَوّامَةٍ وَتَدورُ وَتَدورُ، لكِنَّها في النِّهايَةِ تَعْرِفُ *بِالضَّبْطِ* المَكانَ الَّذي يَجِبُ أَنْ تَذْهَبَ إِلَيْهِ.



فَجْأَةً خَطَرَتْ لي فِكْرَةٌ. قَرَّرْتُ أَنْ *أَكْتُبَ* شَيْئًا أَصيلًا.

قَصيدَةً!

تَوَصَّلْتُ إلى عُنوانٍ لِلقَصيدَةِ، بِناءً عَلى ما كُنْتُ أَشْعُرُ بِهِ: "فُتاتُ أَيّامي."
بَعْدَ ذلِكَ، وَجَدْتُ باقي أَجْزاءِ القَصيدَةِ مَكانَها بِسُهولَةٍ.



كَتَبْتُ وَكَتَبْتُ.



فَقَدْتُ الإِحْساسَ بِالزَّمَنِ.

مَرَّتْ ساعَةٌ في لَحْظَةٍ.



أها!

قُلْتُ عِنْدَما انْتَهَيْتُ مِنَ الكِتابَةِ.





لَمْ أَسْتَطِعِ النَّوْمَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ.
لكِنْ *لَيْسَ لِأَنَّني* كُنْتُ قَلِقَةً.
إنَّما لِأَنَّني كُنْتُ *مُتَحَمِّسَةً*.
شَعَرْتُ حَقًّا بِأَنَّني أَنْجَزْتُ شَيْئًا ما.
شَعَرْتُ بِأَنَّني . . . *ذَكِيَّةٌ*.

في اليَوْمِ التّالي، طَلَبَتِ الآنِسَةُ بَسْكوتَةُ مُتَطَوِّعينَ
مِنَ التَّلاميذِ لِيُشارِكوا بَقِيَّةَ الصَّفِّ ما ابْتَكَروهُ.

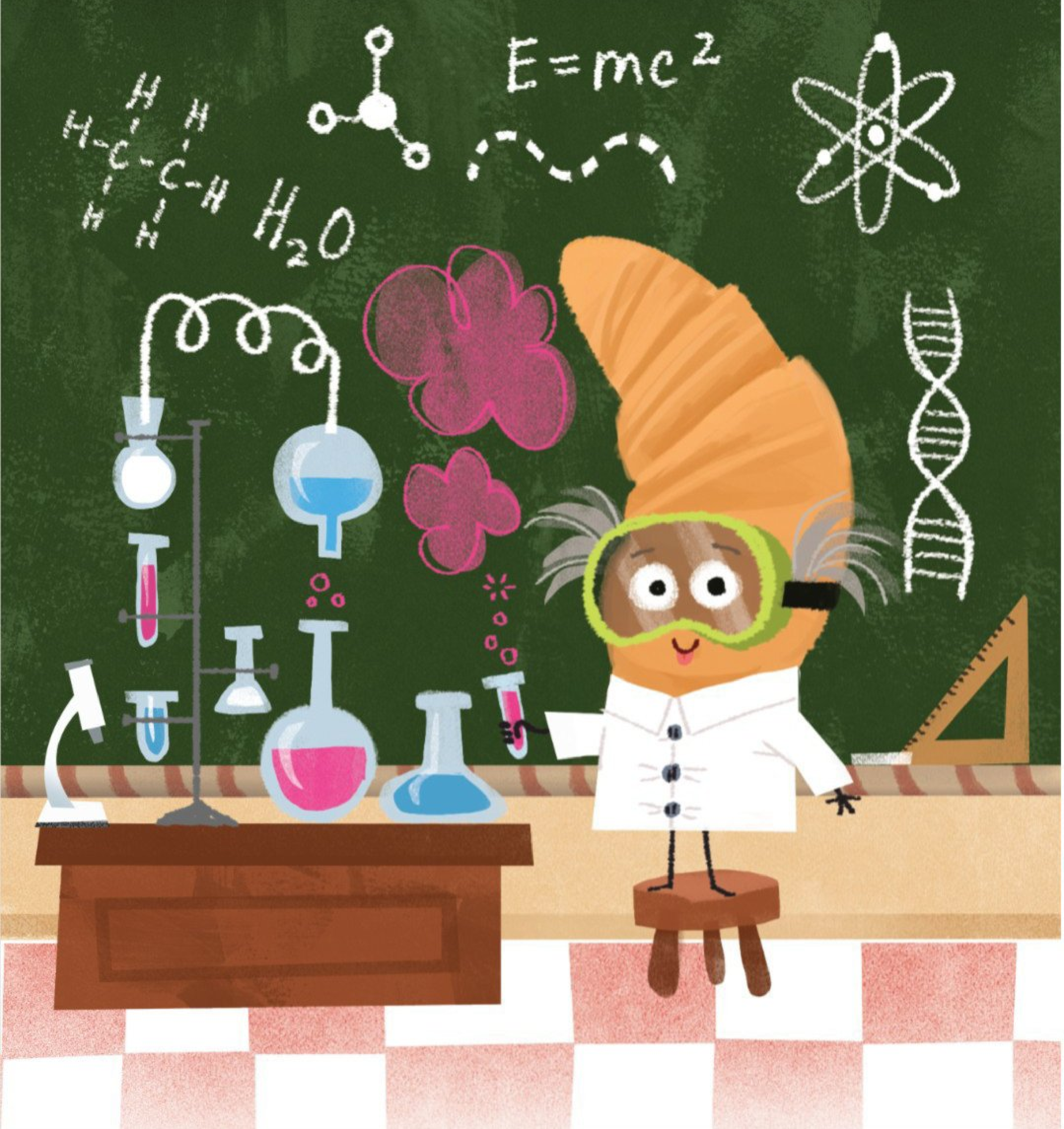
أَحَدُ التَّلاميذِ عَرَضَ لَوْحَتَهُ
الكِريمِيَّةَ الفَنِّيَّةَ الأَصيلَةَ.



تِلميذَةٌ أُخْرى قَدَّمَتْ
آلَةَ رَشِّ السَّكاكِرِ.



كانَ جَميلًا حَقًّا رُؤْيَةُ كَيْفَ أَنَّ كُلَّ واحِدٍ فينا
كانَ جَيِّدًا في عَمَلِ شَيْءٍ مُخْتَلِفٍ.



أَخيرًا الْتَفَتَتِ الآنِسَةُ بَسْكوتَةُ إِلَيَّ، وَسَأَلَتْ:
"هَلْ تَوَدّينَ مُشارَكَتَنا بِأَيِّ شَيْءٍ؟"



بَلَعْتُ ريقي!
ظَنَنَتْ بِأَنّي سَأَتَفَتَّتُ
مِنْ شِدَّةِ التَّوَتُّرِ.

لكِنَّني تَمَكَّنْتُ مِنْ أَنْ أَشُقَّ طَريقي إلى مُقَدِّمَةِ الصَّفِّ.
لاحَظْتُ أَنَّ يَدَيَّ كانَتا تَرْتَعِشانِ، وَأَنَّ فَمي قَدْ جَفَّ.





"هذِهِ قَصيدَةٌ بِعُنوانِ: 'فُتاتُ أَيّامي،'"
قُلْتُ بِصَوْتٍ يَتَكَسَّرُ.
ثُمَّ قَرَأْتُ القَصيدَةَ بِصَوْتٍ عالٍ.



وَبَيْنَما كُنْتُ أَقْرَأُ لاحَظْتُ
بَعْضَ التَّلاميذِ يَهُزّونَ رُؤوسَهُمْ
مُؤَيِّدينَ، عِنْدَ بَعْضِ الأَسْطُرِ.



ضَحِكَ تَلاميذُ آخَرونَ
عِنْدَ أَجْزاءِ القَصيدَةِ الَّتي كانَ
مِنَ المُفْتَرَضِ أَنْ تَكونَ مُضْحِكَةً.

وَمَعَ اقْتِرابي مِنَ النِّهايَةِ، شَعَرْتُ بِنَفْسي
أَكْثَرَ ثِقَةً وَحَيَوِيَّةً.

وَفي النِّهايَةِ صَفَّقَ الجَميعُ، وَهَتَفوا لي!
أَعِدُكَ بِأَنّي لَنْ أَنْسى هذا المَوْقِـفَ *أَبَدًا*.



كانَتِ الآنِسَةُ بَسْكوتَةُ تَشِعُّ بَهْجَةً.
"لا أَحَدَ *سِواكِ* بِمَقْدورِهِ أَنْ يَكْتُبَ هذِهِ القَصيدَةَ،" قالَتْ لي.
" *إِنَّها* أَصيلَةٌ تَمامًا."



أهـا!



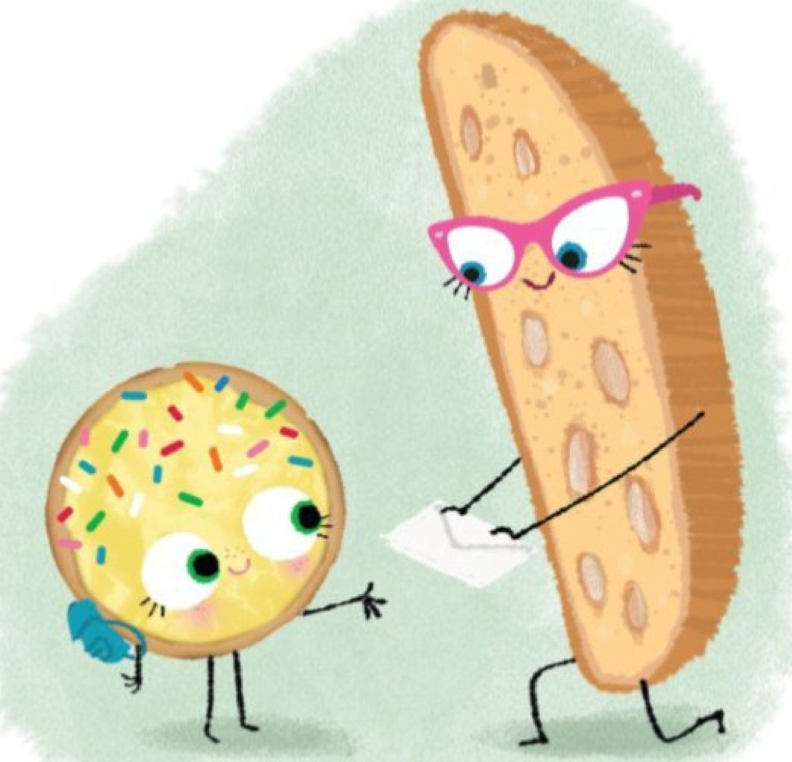
لَقَدْ *فَعَلْتُها*. لَقَدْ صَنَعْتُ شَيْئًا،

وَشارَكْتُهُ العالَمَ.

حَسَنًا . . . *عالَمَي* أَنا عَلى الأَقَلِّ.



تَـلَوَّنَ باقي يَوْمي بِأَطْيافٍ مِنَ السَّعادَةِ.
بَعْدَ الاسْتِراحَةِ، كُنْتُ قَدْ بَدَأْتُ في التَّخْطيطِ لِقَصيدَتي *التّالِيَةِ*.
وَسَأُسَمّيها: "صَباحيَ الحُلْوُ"
"أها!" فَكَّرْتُ حينَ تَـوَصَّلْتُ إلى العُنْوانِ.



وَفي وَقْتٍ لاحِقٍ مِنْ ظُهْرِ ذلِكَ اليَوْمِ،
سَلَّمَتْني الآنِسَةُ بَسْكوتَةُ وَرَقَةً.
كُتِبَ فيها أَنَّ عَلَيَّ الاسْتِمرارَ
في الكِتابَةِ مَهْما حَدَثَ.
عَنى ذلِكَ *الكثيرَ* بِالنِّسْبَةِ لي.

صارَتِ المَدْرَسَةُ مُخْتَلِفَةً بَعْضَ الشَّيْءِ مُنْذُ ذلِكَ اليَوْمِ.



لَمْ أَعُدْ أَخافُ مِنْ رَفْعِ يَدي
أَوْ طَرْحِ سُؤالٍ . . .



أَوْ أَنْ أُشارِكَ عَمَلي الآخَرينَ.



بِالتَّأْكيدِ ما *تَزالُ* بَعْضُ الأُمورِ
أَصْعَبَ عَلَيَّ مِمّا هِيَ عَلى الآخَرينَ.

لكِنَّني الآنَ صِرْتُ أَعْرِفُ أَنَّهُ يُمْكِنُكَ أَنْ تَكونَ ذَكِيًّا بِطَرائِقَ مُخْتَلِفَةٍ.



لا يَتَعَيَّنُ عَلَيْك أنْ تَمْلِكَ الإجابَةَ لِكُلِّ سُؤالٍ.
أَنْتَ فَقَطْ بِحاجَةٍ إلى فُرْصَةٍ لِتُجَرِّبَ كُلَّ أَنْواعِ الأَشْياءِ
لِتَعْرِفَ مَنْ أَنْتَ، وَما الَّذي تُحِبُّ أَنْ تَقومَ بِهِ.

أَمّا بِالنِّسْبَةِ لي فَقَدْ تَعَلَّمْتُ أَنَّني يُمْكِنُني الكِتابَةُ، وَأَنْ آتِيَ بِأَفْكارٍ رائِعَةٍ. كَما أَنَّني اكْتَشَفْتُ كَثيرًا مِنَ الأَشْياءِ الأُخْرى الَّتي أُجيدُ فِعْلَها أَيْضًا. لَمْ أَعُدْ أَشْعُرُ بِأَنَّني تائِهَةٌ في البَحْرِ، الأَمْرُ أَشْبَهُ بِالسِّباحَةِ في النَّهْرِ. وَأَفْضَلُ جُزْءٍ هُوَ: هُناكَ دائِمًا المَزيدُ لِنَتَعَلَّمَهُ!



أُمْسِيَةٌ شِعْرِيَّةٌ

لِأَنَّنا كُلَّنا كَعْكاتٌ ذَكِيَّةٌ.



أَنا كَعْكَةٌ ذَكِيّةٌ،
مِثْلُك تَمامًا!
لكنّي لَمْ أَكُنْ دائِمًا أَشْعُرُ بِذلك.



اكْتَشِفْ مَعنا، في هذه القِصّةِ الرّائِعَةِ، كَيفَ أَدْرَكَتْ كَعْكَةٌ صَغيرَةٌ، بِبَعْضِ الإبْداعِ وَالثّقَةِ بِالنّفْسِ، أَنّ الدّرجاتِ الكامِلَةَ وَمَعْرِفَةَ كُلِّ الإجاباتِ لَيْسَتْ وَحْدَها مُكَوّناتِ الذّكاءِ وَالتّمَيّز.

9 789948 860839
أشجار